والآية الكريمة الثّالثة بمثابة التّبيين للآيتين الكريمتين السّابقتين. إنّ الله سبحانه وتعالى جعل اللّيل والنّهار يخلف أحدهما الآخر بباعث الرّحمة لخلقه ولتحقيق حاجتهم من الرّاحة والسّكون ليلاً، والحركة والابتغاء من فضل الله تعالى نهاراً. وفي الآية الكريمة ما يسمّى باللّفّ والنّشر والتّمشّي فيهما مع الآيتين الكريمتين السّابقتين. إنّ اللّيل وما يتعلّق به يتقدّم على النّهار وما يتعلّق به. إنّ الّذي يتعلّق باللّيل السّكون والرّاحة. وإنّ الّذى يتعلّق بالنّهار الحركة والضّرب في الأرض ابتغاء فضل الله تعالى. وإنّ من رحمة الله تعالى بنا أن جعل لنا اللّيل لنسكن فيه ونهدأ، وجعل لنا النّهار لنتحرّك فيه ونكدح. ولعلّنا نشكر لله تعالى نعمه العظيمة وآلاءه الجسيمة بالإيمان وعمل الصّالحات.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

ويوم يناديهم : واذكر يوم يناديهم(١) وهذا أيضاً نداءٌ على سبيل التّقريع والتّوبيخ لمن عبد مع الله إلهاً آخر(٢).

ونزعنا : وأحضرنا وأخرجنا(٣).

من كلّ أمّة شهيداً : من كلّ جماعة شهيدها وهو نبيّها الّذى يشهد عليها بما

(١) الجلالين.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٦٢.

(٣) انظر تفسير الطّبري ٢٠/ ٦٦.

أجابته أمّته فيما أتاهم به عن الله من الرّسالة(١).

هاتوا برهانكم : هاتوا حجّتكم على إشراككم بالله ما كنتم تشركون، مع إعذار الله إليكم بالرّسل وإقامته عليكم الحجج(٢).

فعلموا أنّ الحقّ لله: فعلموا حينئذٍ أنّ الحجّة البالغة لله عليهم وأنّ الحقّ لله والصّدق خبره، فأيقنوا بعذابٍ من الله لهم دائم(٣).

وضلّ عنهم : وغاب عنهم(٤).

الآية الكريمة الأولى هي الآية الكريمة الثّانية والستّون ذاتها. وكما تكرّر السّؤال الإنكاريّ التّقريعيّ للمشركين في الآية الكريمة: ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الّذين كنتم تزعمون﴾ تكرّر ضمناً جواب المشركين الّذي اشتملت عليه الآية الكريمة الثّالثة والستّون. قال تعالى: ﴿قال الّذين حقّ عليهم القول ربّنا هؤلاء الّذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرّأنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون﴾ وقد ترتّب على هذا الجواب الضّمنيّ للمشركين ما اشتملت عليه الآية الكريمة الأخيرة. إنّ ربّ العزّة والجلال يخرج من كلّ أمّةٍ شهيداً، ويحضر من كلّ جماعةٍ النّبيّ الّذي بعثه الله تعالى إليها فيشهد على المشركين بكفرهم وصدّهم عن سبيل الله تعالى. ويُطْلَبُ يوم القيامة من أولئك المشركين أن يدلوا بحجّتهم التى اعتمدوها في اتّخاذ الشّركاء مع الله تعالى في العبادة. ولمّا لم يكن للمشركين أدنى حجّة فإنّهم يعلمون يقيناً أنّ الحق لله تعالى وحده لا شريك له، وأنّه لا معبود بحقّ سواه عزّ وجلّ، وأنّ قوله جلّ وعلا هو الصّدق.

وفي ذلك الظّرف العصيب والموقف المهيب يغيب عن المشركين المفترين على الله تعالى الكذب ما كانوا يعبدونهم في الحياة الدّنيا ويشركونهم، ظلماً وعدواناً، مع الله تعالى في العبادة.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٠/٦٦.

(٢) تفسير الطّبري ٢٠/٦٧.

(٣) تفسير الطّبري ٢٠/٦٧.

(٤) الجلالين.

(٧)

« خَسَفَ الله تعالى بقارون الباغى وبداره الأرض »

الآيات (٧٦-٨٢)

إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ
عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ
أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾

كان من قوم موسى : كان من عشيرة موسى بن عمران النّبيّ ﷺ. وهو ابن عمّه لأبيه وأمّه(١).

فبغى عليهم: فتجاوز حدّه في الكِبْر والتّجبّر عليهم(٢).

وآتيناه من الكنوز: من كنوز الأموال(٣).

ما إنّ مفاتحه: ما اسم موصول بمعنى الّذي في محلّ نصب مفعول به ثان لآتيناه(٤) مفاتِحه جمع مِفْتح وهو الّذي يُفْتَح به الأبواب(٥) كما أنّ المفاتيح جمع المفتاح(٦).

لتنوء بالعصبة: لتثقل بالعصبة(٧) والباء للتّعدية. أو على قاعدة القلب أي لتنوء بها العصبة أولو القوّة(٨) والعصبة جماعةٌ متعصّبةٌ متعاضدة(٩) والعُصبة

---

(١) تفسير الطّبري ٢٠/ ٦٧.

(٢) تفسير الطّبري ٢٠/ ٦٧.

(٣) تفسير الطّبري ٢٠/ ٦٨.

(٤) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ٨٩.

(٥) تفسير الطّبري ٢٠/ ٦٨.

(٦) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : «فتح» ٢/ ٤٨٠.

(٧) تفسير الطّبري ٢٠/ ٦٨.

(٨) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ٨٩.

(٩) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «عصب» ٢/ ٤٣٧.

والعِصابة: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين[1].

إذْ: اسم ظرفيّ في محلّ نصب مفعولٌ به لفعلٍ محذوفٍ تقديره اذكر[2].

لا تفرح: لا تبغ ولا تبطر فرحاً[3].

إنّ الله لا يحبّ الفرحين: إنّ الله لا يحبّ مِنْ خلقه الأشرين البطرين[4].

إنّ قارون كان من بنى إسرائيل قوم موسى عليه السّلام، فهو ابن عمّه لأبيه وأمّه، فبغى عليهم وطغى، تكبّر عليهم وتجبّر بسبب ما أنعم الله تعالى عليه من مالٍ كثير وجاهٍ عريض. لقد أعطى الله تعالى من فضله قارون ووهبه الكثير من كنوز الأموال، الغالية الأثمان، العزيزة المنال. وهي كنوزٌ من الكثرة والوفرة إلى حدّ أنّ مفاتيح خزائنه لتنوء بحملها وتتعب الجماعة القويّة ذات العدد الوفير من الرّجال. أُذكر إذ قال له قومه من بنى إسرائيل لا تفرح بكنوزك فرح أَشَرٍ وبطر. إنّ الله تعالى لا يجبّ الأشرين البطرين، الّذين لا يقومون بما يجب عليهم مِنْ شكر لله تعالى على نعمه بل يكفرون نعم الله تعالى فيعصونه عزّ وجلّ ويحتقرون عباده.

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

وابْتَغ فيما آتاك الله الدّار الآخرة: واطلب[5] والتمس[6].

---

(١) لسان العرب: «عصب»

(٢) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ٨٩.

(٣) تفسير الطّبري ٢٠/ ٧٠.

(٤) تفسير الطّبري ٢٠/ ٧٠.

(٥) الجلالين.

(٦) تفسير الطّبري ٢٠/ ٧١.

ولا تنس نصيبك من الدّنيا: ولا تترك نصيبك وحظّك من الدّنيا[1] ممّا أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح[2].

استمرّ قوم قارون في نصحهم له قائلين: واطلب يا قارون فيما أعطاك الله تعالى من مال الدّار الآخرة بأن تنفقه في طاعة الله تعالى. ولا تترك نصيبك وحظّك من الدّنيا، فإنّ لنفسك عليك حقّاً من متع الدّنيا من مأكلٍ ومشربٍ وملبسٍ ومسكنٍ ومَنْكحٍ وما إلى ذلك. وأحسن إلى عباد الله تعالى وأنفق فيما فيه صلاحهم في الأولى والآخرة كما أحسن الله تعالى إليك فأعطاك من فضله المال الكثير والكنز الوفير. ولا تطلب الفساد في الأرض بعمل المعاصي والبغي على عباد الله تعالى. إنّ الله تعالى لا يحبّ المفسدين ولكن يحبّ المصلحين.

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

قال إنّما أوتيته على علمٍ عندي: قال لولا رضا الله عنّي ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا[3].

من القرون: من الأمم[4].

---

(١) تفسير الطّبري ٢٠/ ٧٠

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٦٤

(٣) تفسير الطّبري ٢٠/ ٧٢

(٤) تفسير الطّبري ٢٠/ ٧٢

ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون: لعلمه تعالى بها فيدخلون النّار بغير حساب[1] ويعرفون بسيماهم زرقاً سود الوجوه[2] والمعنى زرق العيون من شدّة ما هم فيه من الأهوال[3] والعطش الّذي يكون بهم عند الحشر[4].

أصرّ قارون على فرحه وأشره وبطره فقال جواباً لقومه النّاصحين له إنّما أُعْطيتُ هذا المال الكثير ثمرةً لنبوغي، ونتيجةً لعبقريّتى، وحصيلةً لحُسْن تصرّفي، وبعد نظرى، وكثرة علمى، ووفرة خبرتى!.

لقد نسي قارون أنّ الله سبحانه وعالى قد أهلك مِنْ قبله من الأمم من هو أشدّ منه قوّةً وبطشا، وأكثر جمعاً للمال وتحصيلاً له. ولكنّ المجرمين ذلك حالهم وتلك طبيعتهم، لكثرة ذنوبهم، ووفرة سيّئاتهم، يُؤاخذون بها على الجملة لا على التّفصيل، فإنّ بعضها أسوأ من بعض، ويُعْرفون بسيماهم القبيحة يوم القيامة، فهم زرق العيون سود الوجوه من شدّة الأهوال والعطش عند الحشر.

---

(١) انظر تفسير الطّبرى ٢٠/ ٧٢ والجلالين.

(٢) تفسير الطّبرى ٢٠/٧٢

(٣) تفسير ابن كثير ٥/ ٣٠٩.

(٤) تفسير الطّبرى ١٦/ ١٥٥.

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ
فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا
مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ
وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾

وقال الّذين أوتوا العلم: بالله(١).

ويلكم: كلمة زجر(٢) قال الأصمعيّ: ويلٌ قُبْح(٣).

ثواب الله: جزاء الله في الآخرة(٤) بالجنّة(٥).

ولا يلقّاها إلاّ الصّابرون: وما يلقّى الجنّة إلاّ الصّابرون(٦) ولا يوفّق لقيل هذه الكلمة وهي قول: ﴿ثواب الله خيرٌ لمن آمن وعمل صالحاً﴾(٧).

أكّد قارون أشره وبطره ومرحه فخرج على قومه في زينته من الخدم والحشم والدّوابّ واللّباس وما إلى ذلك. قال الفريق من قومه بنى إسرائيل الّذين يريدون الحياة الدّنيا، ويؤثرون زهرتها الذّابلة وزينتها الزّائلة: ياليت لنا مثل الّذي أوتيه قارون، من المال الكثير والمجد التّليد. إنّ قارون لذو نصيبٍ موفورٍ من الكنوز

(١) تفسير الطّبرى ٢٠/ ٧٣

(٢) الجلالين.

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «ويل» ٢/ ٦٩٥

(٤) انظر تفسير الطّبرى ٢٠/ ٧٣

(٥) الجلالين.

(٦) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٦٥

(٧) تفسير الطّبرى ٢٠/ ٧٣

والقصور والخدم والحشم والحاشية والخيل والبغال والأنعام، وصاحب حظٍ عظيمٍ من السّعادة.

وقال الّذين آتاهم الله تعالى العلم الصّحيح النّافع للّذين غرّتهم الحياة الدّنيا بزخرفها وخدعتهم ببريقها: قبحاً لكم لتعطيلكم عقولكم وضعفكم أمام فتنة الحياة الدّنيا وزينتها الزّائلة وزهرتها الذّابلة. إنّ ثواب الله تعالى في الآخرة بالجنّة خيرٌ من متاع الدّنيا القليل القصير الأجل، وأحسن لمن آمن بقلبه وعمل صالحاً بجوارحه. ولا يلقّى هذه الكلمة، ولا يتحلّى بها فيؤمن ويعمل صالحاً ابتغاء مرضاة الله تعالى، ولا ينال الجنّة جزاءً على الإيمان والعمل الصّالح إلاّ الصّابرون في الدّنيا على الطّاعات والابتلاء وعن المعاصي.

جاء في الحديث الصّحيح: يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر(١).

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٦٥ والحديث متّفقٌ عليه رياض الصّالحين ٦٦٧.

فَخَسَفْنَا

بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

فخسفنا به وبداره الأرض : الخسوف للقمر والكسوف للشّمس، وقيل الكسوف فيهما إذا زال بعض ضوئهما، والخسوف إذا ذهب كلّه. ويقال: خسفه الله وخَسَفَ هو. وتُصُوِّر من خسف القمر مهانةٌ تلحقه فاستُعير الخسف للذّلّ فقيل تحمّل فلانٌ خسفا(١).

فما كان له من فئة : فما كان له جندٌ يرجع إليهم(٢) وأصل الفئة الجماعة من النّاس الّتي يفيء إليها الرّجل عند الحاجة إليهم للعون على العدوّ، ثمّ تستعمل ذلك العرب في كلّ جماعة كانت عوناً للرّجل وظهراً له(٣).

من دون الله : أي غيره(٤).

بالأمس : أي من قريب(٥).

وَيْ : اسم فعل مضارع بمعنى أعجب(٦) وهي كلمةٌ تُذكر للتّحسّر

(١) انظر مفردات الرّاغب الأصفهاني : «خسف» ١/ ١٩٦.

(٢) تفسير الطّبري ٢٠/ ٧٦.

(٣) انظر تفسير الطّبري ٢٠/ ٧٦.

(٤) الجلالين.

(٥) الجلالين.

(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ٩٣.

والتّندّم والتّعجّب(١).

يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده ويَقْدِر: يوسّع عليه ويضيّق عليه(٢).

لولا أنّ منّ الله علينا : لولا أن تفضّل علينا فصرف عنّا ما كنّا نتمنّاه بالأمس(٣).

بسبب طغيان قارون وبغيه خسف الله تعالى به وبداره الأرض، وأمر عزّ وجلّ الأرض أن تبتلعه هو وآله وداره ففعلت. وما كان لقارون من جماعةٍ يفيء إليها وتنصره من دون الله تعالى الّذى قضى بخزيه وهلاكه، وما كان من المنتصرين من ذوات أنفسهم بسبب عجزه وهوانه على الله تعالى.

وأصبح الّذين تمنّوا مكانه بالأمس القريب وأرادوا أن يكونوا مثله ثراءً وجاهاً وأبّهةً يقولون الآن: نعجب لمصير قارون المخزى المحزن بإذن الله تعالى، بعد ذلك المال الوفير والجاه العريض بفضل الله تعالى. كأن الله سبحانه وتعالى يبسط الرّزق لمن يشاء من عباده ويوسّعه عليه، ويَقْدره ويضيّقه على من يشاء منهم، لحكمةٍ بالغة وحجّةٍ دامغة، وليس لكرامة من يوسّع الرّزق عليه، وهوان من يضيّقه عليه، فإنّ الله تعالى يختبر عباده ويبتليهم بالخير ليعلم علم ظهور هل يشكرون أم يكفرون، وبالشّرّ ليعلم علم ظهور هل يصبرون أم يجزعون. لولا أن منّ الله تعالى علينا بفضله، وشملنا بلطفه، لخسف بنا كما خسف بقارون، لأنّا كنّا نتمنّى أن نكون مثله مالاً وجاهاً، أبّهةً واختيالا. إنّ عجبنا لا يكاد ينتهى من الحكم البالغة، والحجج الدّامغة. إنّه لا يُفْلح الكافرون، ولا يفوز العاصون الأشرون البطرون. إنّ مصيرهم الهوان في الأولى والخزي في الآخرة. إنّ اللّبيب لا يخدعه البرق الخُلَّب، ولا تصرفه القشور والمظهر عن اللّبّ والجوهر.

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «وي» ٢/ ٦٩٥.

(٢) فتح البارى ٨/ ٥٠٦

(٣) تفسير الطّبري ٢٠/ ٧٨.

(٨)

« ثواب المحسنين وعقاب المسيئين وتثبيت فؤاد المصطفى ﷺ »

الآيات (٨٣-٨٨)

تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا
لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ
﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا
يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

تلك الدّار الآخرة : أي الجنّة(١).
نجعلها : نجعل نعيمها(٢).
للّذين لا يريدون علواً : بغياً(٣).
ولا فساداً : عملاً بالمعاصي(٤).
والعاقبة : المحمودة(٥).
للمتّقين: الّذين اتّقوا معاصي الله وأدّوا فرائضه(٦).
من جاء بالحسنة : أي يوم القيامة(٧).

---

(١) الجلالين.
(٢) تفسير الطّبري ٢٠/٧٨.
(٣) تفسير الطّبري ٢٠/٧٨.
(٤) تفسير الطّبري ٢٠/٧٨.
(٥) الجلالين.
(٦) تفسير الطّبري ٢٠/٧٩.
(٧) تفسير ابن كثير ٦/٢٦٩.

فله خيرٌ منها : ثوابٌ بسببها وهو عشر أمثالها(١).

إلاّ ما كانوا يعملون : إلاّ جزاء ما كانوا يعملون(٢).

تلك الجنّة الّتي فيها ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر، يجعل الله تعالى نعيمها المقيم، لعباده الصّالحين، الّذين لا يبغون في الأرض على عباد الله تعالى، ولا يفسدون بارتكاب المعاصي. والعاقبة المحمودة يوم القيامة للمتّقين، الّذين اتّقوا عذاب الله تعالى بعمل الصّالحات حتّى بلغوا مرتبة التّقوى، الوجه الآخر للإحسان، بأن تعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك. وهكذا يتواضع المتّقون ويصلحون في الأرض. وإنّ من جاء ربّه عزّ وجلّ يوم القيامة بالحسنة فله خيرٌ منها، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فأكثر، وهذا هو الفضل، ومن جاء بالسّيّئة فلا يجزى الّذين عملوا السّيّئات إلاّ جزاء ما كانوا يعملون، السّيّئة بمثلها، وهذا هو العدل. قال تعالى(٣): ﴿من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها ومن جاء بالسّيّئة فلا يُجْزَى إلاّ مِثْلَها وهم لا يُظْلَمون﴾ وقال تعالى(٤): ﴿مَثَلُ الّذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّةٍ أنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلةٍ مائة حبّة. والله يضاعف لمن يشاء. والله واسعٌ عليم﴾.

---

(١) الجلالين.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/٧٩.

(٣) سورة الأنعام ١٦٠.

(٤) سورة البقرة٢٦١.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾

إنّ الّذى فرض عليك القرآن : إنّ الّذى أنزل عليك يا محمّد القرآن(١).

لرادّك إلى معاد : عن ابن عبّاس: ﴿لرادّك إلى معاد﴾ قال : إلى مكّة(٢).

إنّ ربّك الّذى أنزل عليك القرآن يا محمّد لرادّك إلى مكّة المكرّمة الّتى أخرجك الكفّار منها ظلماً وعدوانا. قل يا محمّد للمشركين: ربّى جلّ وعلا أعلم من جاء بالهدى من الله تعالى ومن هو في ضلالٍ مبين وخروجٍ ظاهر عن الصّراط المستقيم والطّريق القويم، منّا ومنكم.

ومعروفٌ أنّ محمّداً ﷺ هو الّذى جاء بالهدى من عند الله تعالى وأنّ المشركين هم الضّالون عن سواء السّبيل.

وإنّ ربّ العزّة والجلال قد ردّ المصطفى ﷺ إلى مكّة المكرّمة فاتحاً لها في شهر رمضان المبارك سنة ثمان من الهجرة(٣) ولمّا كان نصرُ الله تعالى للنّبيّ ﷺ بفتح مكّة سنة ثمان، ودخولُ النّاس في دين الله تعالى أفواجاً في السّنة التّاسعة المسمّاة بسنة الوفود(٤) دليلَيْ لَحاقه بالرّفيق الأعلى عن قريب على نحو ما فُهِم من سورة النّصر(٥) المدنيّة(٦) لذا فقد فسّر بعضهم المعاد بالموت(٧) وبيوم القيامة(٨)

(١) تفسير الطّبري ٢٠/٧٩.

(٢) فتح البارى ٨/ ٥٠٩ حديث رقم ٤٧٧٣.

(٣) السيرة النّبويّة لابن هشام ٤/ ٣١.

(٤) السيرة النّبويّة لابن هشام ٤/ ٢٠٥.

(٥) صحيح البخارى ٦/ ٢٢٠ وفتح البارى ٨/ ٧٣٤ حديث رقم ٤٩٧٠.

(٦) الإتقان ١/ ٤٣.

(٧) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٠.

(٨) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٠.

وبدخوله عليه الصّلاة ،السّلام الجنّة(١).

إنّ كلّ هذه المعاني للمعاد من متعلّقات النّصر بفتح مكّة. إنّ فتح مكّة الّذى أشارت إليه سورة النّصر إيذانٌ بقرب موت المصطفى ﷺ الّذى خصّه الله تعالى بالمقام المحمود يوم القيامة، وهو مقام الشّفاعة، الّذى يَحْمَدُ المصطفى ﷺ فيه الأوّلون والآخِرون(٢).

وَمَا كُنتَ
تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ
فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ
ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا
هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

وما كنت ترجو أن يُلْقى إليك الكتاب: الرّجاء ظنٌّ يقتضى حصول ما فيه مسرّة(٣).

إلاّ رحمةً من ربّك : إلاّ أداة بمعنى لكن، والاستثناء منقطع(٤) والمعنى: لكن أُلْقِيَ إليك رحمةً من ربّك(٥) رحمةً مفعول لأجله منصوب(٦).

---

(١) تفسير الطّبرى ٢٠/٧٩و٨٠.

(٢) انظر ـ مثلاً ـ تفسير الطّبرى ١٥/٩٧.

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «رجا» ١/٢٥٣.

(٤) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/٩٨.

(٥) الجلالين.

(٦) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/٩٨.

فلا تكوننّ ظهيراً للكافرين: الفاء رابطة لجواب شرطٍ مقدّر، أي إذا أُلْقِي إليك الكتاب فلا تكوننّ ظهيراً. لا: ناهية جازمة. تكوننّ: مضارع ناقص مبنيٌّ على الفتح في محلّ جزم، واسمه ضميرٌ مستترٌ تقديره أنت: ظهيراً خبر تكوننّ. للكافرين: جارٌّ ومجرورٌ متعلّقان بـ: ظهيرا[1] ظهيراً: معينا[2].

ولا يصدّنّك عن آيات الله: ولا يصرفنك عن تبليغ ايات الله وحججه بعد أن أنزلها إليك ربّك يا محمّد هؤلاء المشركون بقولهم[3]: ﴿لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾[4] الواو عاطفة. لا: ناهية جازمة. يَصُدُّنَّك: مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف النّون لأنّه من الأفعال الخمسة والأصل: يصدّون. والنّون المذكورة للتّوكيد. والواو المحذوفة لالتقاء السّاكنين: فاعل. والكاف: مفعولٌ به[5] أصله: يصدونَنَّك. حُذفت نون الرّفع للجازم. وحُذِفت واو الفاعل السّاكنة لالتقائها مع النّون السّاكنة[6].

ولا تكوننّ من المشركين: ولا تتركنّ الدّعاء إلى ربّك وتبليغ المشركين رسالته فتكون ممّن فعل فعل المشركين بمعصيته ربَّه وخلافه أَمْرَه[7].

ولا تدع مع الله إلهاً آخر: ولا تعبد يا محمّد مع معبودك الّذى له عبادة كلّ شيءٍ معبوداً آخر سواه[8].

لا إله إلاّ هو: لا معبود تصلح له العبادة إلاّ الله[9].

---

(١) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ٩٨.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٧١ والجلالين.

(٣) سورة القصص ٤٨.

(٤) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨١.

(٥) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ٩٨.

(٦) انظر الجلالين.

(٧) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨١.

(٨) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨١.

(٩) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨١.

كلّ شيءٍ هالكٌ إلاّ وجهه: إلاّ إيّاه[1].

له الحكم: القضاء النّافذ[2].

وما كنت يا محمّد تأمُل أن يوحَى إليك هذا الكتاب العزيز، وما كنت أيّها النّبيّ الكريم والرّسول العظيم يخطر ببالك أن ينزل عليك القرآن المجيد، لكن أوحيناه إليك رحمةً من ربّك بِك وبالعالمين. أما وقد أنزلنا عليك يا محمّد هذا الكتاب العزيز فلا تكونَنّ معيناً للكافرين على كفرهم ولكن خالفهم ونابذهم وفارقهم.

ولا يصرفنّك يا محمّد أولئك المشركون عن تبليغ آيات الله تعالى بعد إذ أنزلت إليك ولا تستجب لمحاولاتهم تثبيطك عن أداء ما ائتُمِنْت عليه من الوحي كأن يقولوا: ﴿لولا أوتي مثلما أوتي موسى﴾[3] وادع يا محمّد إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا تترك يا محمّد تبليغ المشركين رسالة ربّك فتكون ممّن فَعَلَ فِعْلَ المشركين بمعصيته ربّه، وخلافه أَمْرَه.

ولا تعبد يا محمّد مع الله تعالَى إلَهاً آخر. لا إله معبودَ بحقٍّ إلاّ الله تعالى. كلُّ شيءٍ في هذا الكون هالكٌ وفانٍ إلاّ هو وحده لا شريك له. له الحكم النّافذ، والقضاء الفصل، وإليه يَرْجِعُ الخلائق يوم القيامة بعد البعث والنّشور، للحساب والجزاء، الثّواب أو العقاب.

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٧٢ والجلالين.

(٢) الجلالين.

(٣) سورة القصص ٤٨.

ثالثاً

سورة العنكبوت

حتّى نهاية الجزء العشرين

سُورَةُ العَنكبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَن كَانَ يَرْجُوا۟
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ
فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ
إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ
﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ
﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ
﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ
وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ
إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا
لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ
وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ
﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ
مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾
أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ
فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ
أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ
﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟
أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾
قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ
وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ
أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ
كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ
هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ
﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ
﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى
دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ
لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ
أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ
بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ
﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا
وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ
ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ
وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ
ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ
ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ
لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن
دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ
ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ
﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ
وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾

بين يدي التّفسير

(١)

«ثواب المؤمنين الصّابرين عظيم، وعذاب الكافرين والمنافقين أليم»

الآيات (١-١٣)

سورة العنكبوت المكّيّة تبدأ بإحدى عشرة آيةً كريمةً مدنيّة. ومن أبلغ الأدلّة على كون الآيات الإحدى عشرة الأُوَل من المدنيّ من القرآن مجيء لفظة المنافقين في نهاية الآية الكريمة الحادية عشرة. والمعروف أنّ وجود النّفاق بعد الهجرة ثمرةٌ طبيعيّة لقيام الدّولة الإسلاميّة في المدينة المنوّرة بهجرة المصطفى ﷺ إليها، لقدرة الدّولة على تطبيق الأحكام، فادّعى الكافرون أنّهم مؤمنون، من أجل تحقيق مكاسب رخيصة. وكما كان ظهور النّفاق في المدينة طبيعيّاً كان ظهور الكفر في مكّة طبيعيّاً بسبب ضعف المسلمين آنذاك.

وتبدأ السّورة الكريمة بالحروف المقّطعة: ﴿ الم ﴾ وهي من السّور القلائل الّتى جاء فيها الانتصار للقرآن الكريم على التّراخى. وهذه الحروف المقطّعة الّتى تبدأ بها السّور الكريمات امتدادٌ للتّحدّى بالقرآن الكريم. إنّها حروفٌ تنبّه إلى أنّ كلمات القرآن الكريم تتألّف منها كما تتألف الكلمات العربيّة الّتى تجرى على ألسنة العرب الّذين نزل القرآن الكريم بلسانهم، ولكنّ النّظم القرآنيّ نسيجُ وَحْدِه.

ويسأل السّياق في إنكارٍ النّاس عموماً، المؤمنين خصوصاً، أظنّوا أن يتركوا دون اختبار لمجرّد قولهم إنّا آمنا. إنّ الله سبحانه وتعالى قد اختبر الّذين من قبلهم من أتباع النّبيّين السّابقين والمرسلين، من أجل أن يعلم عزّ وجلّ علم ظهور الّذين صدقوا في إيمانهم والّذين كذبوا فيه. فعليكم أيّها المؤمنون الّذين أوذيتم في سبيلى وأُرْغِمتُم على الهجرة من دياركم أن تصبروا وتحتسبوا. وهل المشركون الّذين ساموا المؤمنين الخسف ظنّوا أنّهم يفوتوننا ويعجزوننا. خاب ظنّهم وضلّ سعيهم. إنّ من

كان يرجو لقاء الله تعالى ويعمل لما بعد الموت عليه أن يعلم أنّ الموعد المضروب للبعث لآت فاستَبِقُوا الخيرات. إنّ الله تعالى هو السّميع لكلّ قول العليم بكلّ نيّة وفعل. ومَنْ جاهد في سبيل الله تعالى فإنّما يجاهد لنفسه لأنّ ثواب عمله راجعٌ إليه. إنّ الله تعالى هو الغنيّ عن العالمين أجمعين، فلا تزيد طاعتهم في ملك الله تعالى شيئاً، ولا تنقص معصيتهم من ملك الله تعالى شيئاً. إنّ الّذين آمنوا بالله تعالى وعملوا الصّالحات بمقياس دين الإسلام الّذى بعث الله تعالى به محمّداً ﷺ لنمحونّ عنهم سيّئاتهم، ولنجزينّهم بأحسن الجزاء على الأعمال الحسنة الّتى كانوا يعملونها في الدّنيا. وإنّ ربّكم الواحد الأحد الّذى أمركم أن تعبدوه وحده لا شريك له يوصيكم بالإحسان إلى الوالدين وبرّهما وإن كانا مشركين. وللإحسان والبرّ حدودٌ لا تقترب من حدود الشّرك، الذّنب الوحيد الّذى لا يغفره الله تعالى. إنّ والديك إن بذلا غاية جهدهما لتشرك بي ما ليس لك به علم، وما ليس له حقٌ في أن تشركه معي في العبادة، فأنا وحدي المستحقّ لأن أُعبَدَ وأن أُوَحَّد، فلا تطعهما وصاحبهما في الدّنيا معروفاً. إليّ مرجعكم جميعاً يوم القيامة فأنبّئكم بما كنتم تعملون في الدّنيا، وأحشر المتّقين إليّ وفداً مبجّلاً، وأسوق المجرمين إلى جهنّم ماشين عطاشا. وهكذا يُدْخِل الله تعالى المؤمنين الّذين يعملون الصّالحات في زُمْرة الصّالحين، ويُدْخل الكافرين في جملة المجرمين.

إنّ عليكم أيّها المؤمنون الصّادقو الإيمان أن تصبروا، وأن يكون باطنكم كظاهركم، وألاّ تبدّلوا تبديلاً كي تثابوا، وألاّ تكونوا كالمنافقين الّذين يعلنون الإيمان ويبطنون الكفر.

وإنّ من النّاس منافقين مذبذبين يقولون بألسنتهم إنّهم آمنوا بالله تعالى، فإذا أوذوا في سبيل الله تعالى ظهروا على حقيقتهم وجعلوا إيذاء النّاس لهم كعذاب الله تعالى، فنافقوا وخافوا النّاس كما يخافون عذاب الله تعالى المنتقم الجبّار. ولئن جاء المؤمنين نصرٌ من الله تعالى يقولون بكلّ جرأة: إنّا كنّا معكم ونريد حظّنا من الغنيمة. أجهلوا ولم يعلموا أنّ الله تعالى هو الأعلم بما في صدور العالمين، وبما يتّصفون به من صدق إيمانٍ أو نفاقٍ فيجازيهم!.

ولا يكاد العجب ينتهي من كفّار مكّة الّذين ساموا المؤمنين الخسف حتّى هاجروا وتركوا أموالهم وأبناءهم حينما قالوا للّذين آمنوا واهتدوا: اتّبعوا ديننا وارتدّوا عن دين الإسلام ونحن في المقابل نحمل خطاياكم! إنّهم ليسوا بحاملين شيئاً من خطايا الآخرين، وإنّهم لكاذبون، وإنّهم سوف يحملون أوزارهم وأوزار الّذين أضلّوهم وصدّوهم عن السّبيل. وإنّهم يوم القيامة سوف يُسْألون عمّا كانوا يأتون من كذب.

(٢)

« إهلاك الله تعالى الكافرين، وإنجاء المرسلين وأتباعهم، وتثبيت فؤاد المصطفى ﷺ وأفئدة المؤمنين »

الآيات (١٤-٤٠)

بقصد تثبيت فؤاد المصطفى ﷺ وأفئدة المؤمنين يتحوّل السّياق إلى الحديث عن كوكبةٍ من المرسلين الكرام وإنجاء الله تعالى لهم ولأتباعهم المؤمنين. ويكثر الحديث عن إبراهيم عليه السّلام أبي الأنبياء عليهم جميعاً صلوات ربّ العالمين وسلامه. وفي إنجاء الله تعالى المرسلين والمؤمنين وإهلاك الكافرين تبشيرٌ للمصطفى ﷺ وللمؤمنين بأنّ نصر الله تعالى لهم قريبٌ بإذن الله تعالى. قرّر السّياق أنّ ربّ العزّة والجلال قد أرسل نوحاً عليه السّلام أوّل الرّسل والأب الثّاني للبشريّة إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى فأصرّوا على الكفر فأغرقهم الله تعالى بالطّوفان، وأنجى نوحاً عليه السّلام وأصحاب السّفينة من المؤمنين، وجعل عزّ وجلّ آية الإنجاء بالسّفينة، وآية جنس السّفينة، آيةً بالغةً للعالمين دالّة على قدرة الله تعالى المطلقة. وكذلك أرسل الله تعالى إبراهيم عليه

السّلام الّذى أمر قـومه بأن يعبدوا الله تعـالى ويتّقوه. إنّ إفراد الله تعـالى بالعبادة خيرٌ لهم لو أنّـهم كانوا يعلمون ذلك ويفعلونه، ولكنّهم للأسـف يعبدون من دون الله تعالى أصناماً، ويقولون كذباً. إنّ الّذين يعـبدونهم من دون الله لا يملكون لهم رزقاً، فعليهم أن يبتغوا الرّزق عند الله تعالى، وأن يفردوه بالعبادة، وأن يشكروا له نعمه العظيـمة، وأن يوقنوا أنهم راجعون إلى الله تعالى، فـعليهم العمل وفق هذا العلم. ومن البـيّن أنّ دعوة الرّسل واحدة، وأنّ مـا يجرى على لسـان أيّ رسول يجرى على لسان محمّد ﷺ.

ثمّ تأتى ستّ آيات كريمات اختلفت الآراء بشأنهنّ. إنّ من العلماء من ذهب إلى أنّها على لسـان إبراهيم عليه السّلام، وإنّ منهم من ذهب إلى أنّهـا على لسان الحقّ جلّ وعلا لتـثبيت فؤاد المصطفى ﷺ. ونحن نرى هذا الرّأي الأخـير. ومن أبلغ الأدلّة على ذلك أنّ الحديث بعد ذلك على لسان إبراهيم عليه السّلام موصولٌ تماماً بالآيتين الكريمتين الأوليين. والله تعالى أعلم.

إنّ الآيات الاعـتراضـيّة تقـول لكفّـار مكّة ومن شـاكلهم: إنّكم إن تكذّبوا رسولنا فـقد كذّب أممٌ من قبلـكم رسلهم فأخذهم الله تعـالى بذنوبهم. وما على رسولنا إلاّ البلاغ المبين. أعـمي الكافرون ولم يروا بعقولهم وبصـائرهم كيف يبدأ الله تعالى الخلق على غير مثالٍ سابقٍ ثمّ يعيده يوم القيامة. إنّ ذلك يسيرٌ جداً على الله تعالى. قل لهم يا محمّد سيـروا في الأرض فانظروا بعقولكم وبصائركم كيف بدأ الخلق ثمّ الله تعالى ينشىء يوم القـيامة النّشأة الآخـرة. إنّ الله تعالى على كلّ شيءٍ قـدير. يعذّب عـزّ وجلّ من يشـاء تعذيبـه ويرحم من يشـاء رحمـته وإليـه ترجعون بالبعث بعد الموت. وما أنتم بمعـجزين الله تعالى في الأرض الّتى تعيشون عليها ولا في السّماء لو كنتم فـيها، وليس لكم من دون الله تعالى من وليٍّ يتولّى أموركم ولا نصـيرٍ يصـرف العذاب عنكم أو يهـوّنه. والّذين كفروا بـآيات القرآن الكريم وبلقـاء الله تعالى بعد الموت، أولئـك في الآخرة يئسـوا من رحمـتى لسوء أعمالهم وأولئك لهم عذابٌ مؤلم.

فما كـان جواب قوم إبراهيم عليه السّلام علـى دعوته لهم إلى دين الإسلام

إلاّ أن قالوا اقتلوه تقتيلاً أو حرّقوه بالنّار تحريقاً. واستقرّ رأيهم على التّحريق بالنّار، فأنجاه عزّ وجلّ منها بأن جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السّلام. إنّ في ذلك الإنجاء لآياتٍ بالغات الدّلالة لقومٍ يؤمنون وحججاً واضحاتٍ على قدرة الله تعالى المطلقة.

ويعود السّياق إلى الحديث عمّا جرى على لسان إبراهيم عليه السّلام خطاباً لقومه الكافرين، وهو حديثٌ موصولٌ بسابقه حقّا. إنّه عليه السّلام يقول لقومه: إنّكم إنّما اتّخذتم من دون الله تعالى أوثاناً تعبدونها لأجل المودة بينكم في الحياة الدّنيا وبباعث الحبّ لأصناكم. وفي يوم القيامة يكفر المتبوعون بالتّابعين، ويلعن التّابعون المتبوعين، ومأواكم جميعاً النّار، وما لكم من ناصرين من دون الله تعالى.

فآمن لابراهيم عليه السّلام ابن أخيه لوطٌ عليه السّلام. وقال إبراهيم عليه السّلام إنّى مهاجرٌ من العراق إلى الشّام حيث أمرني ربّى، إنّه هو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه وتدبيره وتقديره. ووهبنا لإبراهيم في حياته بعد ابنه إسماعيل ابنه الآخر اسحاق وحفيده يعقوب عليهم جميعاً صلوات الله تعالى وسلامه. وجعل الله تعالى في ذرّيّة إبراهيم عليه السّلام النّبوّة والكتاب. أمّا النّبوّة فإنّ محمّداً ﷺ من ذرّيّة إسماعيل عليه السّلام، وإنّ كلّ أنبياء بنى إسرائيل من ذرّيّة إسحاق عليه السّلام. والكتب السّماويّة في ذرّيّة إبراهيم عليه السّلام هي توراة موسى، وزبور داود، وإنجيل عيسى، والقرآن الكريم الّذى أوحاه الله تعالى إلى محمّد صلّى الله تعالى وسلّم عليهم أجمعين. وقد آتى الله تعالى إبراهيم عليه السّلام أجره في الدّنيا وهو الذّكر الحسن لدى أهل كلّ الأديان السّماوية، وإنّه في الآخرة من الصّالحين المنعم عليهم من ربّ العالمين.

وأرسل الله تعالى لوطاً عليه السّلام إلى قومه فدعاهم إلى عبادة الله تعالى وأنكر عليهم إتيان الفاحشة الّتى ما سبقهم بها أحدٌ من النّاس. لقد أنكر عليهم إتيان الرّجال في أدبارهم، وقطع السّبيل على المارّة وفعل الفاحشة بهم، وإتيان المنكر في محفلهم دون خوفٍ من الله تعالى ولا حياءٍ من عباده عزّ وجلّ. فما كان

جواب قومه المستهزئين إلاّ أن قالوا ائتنا بعذاب الله تعالى إن كنت من الصّادقين في الإنكار علينا وتهديدنا بالعذاب. قال لوطٌ عليه السّلام : يا ربّ انصرني على القوم المفسدين بإتيان الفاحشة.

ولمّا جاءت رسل الله تعالى من الملائكة الكرام إبراهيم عليه السّلام في هيئة شُبّان حسّان فأكرمهم فلم تمتدّ أيديهم إلى الطّعام فأوجس منهم خيفةً أن يكونوا أعداءً فطمأنوه وبشروه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب عليهما السّلام. قالوا لإبراهيم عليه السّلام : إنّا مهلكو أهل هذه القرية الظّالمين بشركهم وفسقهم. قال إنّ في القرية لوطاً. قالوا نحن أعلم بمن في القرية لننجّينّ لوطاً وأهله إلاّ امرأته فإنّها من الباقين في العذاب.

ولمّا أن جاءت رسل الله تعالى من الملائكة الكرام لوطاً عليه السّلام حزن بسببهم وضاق بهم ذرعاً خوفاً من قومه أن يفعلوا الفاحشة بهؤلاء الشّبان الحسّان الّذين جاء الملائكة في صورهم. قال الملائكة الكرام: لا تخف يا لوط علينا ولا تحزن لما سوف يصيب قومك من عذاب. إنّا منجوّك وأهلك من العذاب إلاّ امرأتك المتواطئة مع قومها فإنّها مع المهلكين من القرية. إنّا منزلون على أهل قرية سدوم جنوبيّ البحر الميّت في الأردنّ حالياً عذاباً من السّماء بسبب فسقهم. ولقد تركنا من تلك القرية آيةً بيّنة وآثاراً باقيةً لقومٍ يستعملون عقولهم استعمالاً صحيحاً حينما يمرّون بتلك الخرائب فيتّعظون.

وأرسل الله تعالى إلى قبيلة مدين أخاهم من مدينة مدين شعيباً عليه السّلام الّذى أمرهم بعبادة الله تعالى، وأن يطلبوا الثّواب من الله تعالى يوم القيامة على عملٍ الصّالحات، والّذى نهاهم عن السّعي في الأرض بالإفساد معنىً وحسّا. لمّا أصرّ القوم على التّكذيب أخذتهم الرّجفة الشّديدة المصحوبة بالصّيحة العنيفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين على ركبهم ميّتين.

وقد أهلك الله تعالى عاداً في جنوبيّ الجزيرة العربيّة قوم هودٍ عليه السّلام ، وثمود في شماليّ الجزيرة العربيّة قوم صالحٍ عليه السّلام ، وقد تبيّن اثار الهلاك لكفّار مكّة الّذين يمرّون على تلك الخرائب مصبحين وباللّيل. لقد زيّن الشّيطان

الرّجيم لهم أعمالهم السّيّئة، فصدّهم عن سبيل الهدى، وكانوا ذوى بصائر، ولكنّها غير نيّرة، وحلوم، ولكنّها خفيفة، لذا استحبّوا العمى على الهدى، وكانوا بضلالهم فرحين، وبكفرهم مبتهجين!.

وقد أهلك الله تعالى قارون وفرعون وهامان. ولقد جاءهم مِنْ قَبْلُ موسى عليه السّلام بالحجج الواضحات فاستكبروا في أرض مصر وما كانوا معجزين الله تعالى.

لقد أخذ الله تعالى كلّ أولئك الكافرين بذنوبهم. إنّ منهم من أرسل الله تعالى عليه ريحاً تحمل الحصباء فأهلكته كقوم لوطٍ عليه السّلام. وإنّ منهم من أخذته الصّيحة بمعنى الصّاعقة كمدين وعادٍ وثمود. وإنّ منهم من خسف الله تعالى به الأرض كقارون، وإنّ منهم من أغرقه الله تعالى كقوم نوحٍ عليه السّلام وفرعون وهامان.

إنّ الله تعالى ما كان ليظلم الّذين أهلكهم ولكنّهم كانوا يظلمون أنفسهم بالكفر والمعاصي والصّدّ عن سبيل الله تعالى.

(٣)

« الله تعالى العزيز العليم الّذي يضرب الأمثال هو المستحقّ وحده أن يعبد ويذكر، والآلهة المزعومة واهنة كبيت العنكبوت »

الآيات (٤١-٤٥)

إنّ مَثَل الّذين اتّخذوا من دون الله تعالى آلهةٍ يعبدونها في الهوان والخسران كمثل العنكبوت اتّخذت بيتاً تسكن إليه فكان مثالاً في الوَهَن حسّاً، فهو أوهن بيتٍ على الإطلاق، ومعنىً فهو أبعد بيتٍ عن السّكينة والأمان، لأنّ فيه هلاك

الزّوج والذّريّة والزّائرين والعابرين. إنّ الّذين يعبدون الآلهة المزعومة لو كانوا يعلمونها على حقيقتها ما عبدوها. وإنّ الله تعالى العزيز الحكيم العليم يعلم ما يعبد المشركون من دونه من شيء. وتلك الأمثلة يجعلها الله تعالى في القرآن للنّاس. وما يعقلها ويأخذ العبرة منها إلاّ العالمون علماً نافعاً. إنّ الله تعالى هو الّذي خلق السّماوات والأرض بالحقّ وليس عبثاً ولا باطلاً. إنّ في ذلك لآيةً للمؤمنين على أن الله تعالى واحدٌ أَحَدٌ فردٌ صَمَدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

إنّ عليك يا محمّد ويا أيّها الإنسان أن تفرد الله تعالى العزيز الحكيم العليم بالعبادة. وإنّ عليك يا محمّد أن تتلو ما أوحيت إليك من آي الكتاب العزيز، وأن تقيم الصّلاة بشروطها. إنّ الصّلاة تنهى عن كلّ فاحشة وخصلة قبيحة، وعن كلّ ما ينكره الدّين والعقل والعرف. وإنّ ذكر الله تعالى بالقلب واللّسان والجوارح أكبر من غيره من الطّاعات لأنّه يشملها كلّها، ومنها تلاوة القرآن الكريم وإقام الصّلاة. وإن الله تعالى يعلم ما تصنعون أيّها النّاس، فاتّخذوا من حبيبنا ورسولنا أسوةً حسنةً تتأسّون بها وتقتدون في مكارم الأخلاق وفي خلق المصطفى ﷺ العظيم.

التّفسير

(١)

«ثواب المؤمنين الصابرين عظيم ، وعذاب الكافرين والمنافقين أليم»

الآيات (١ ـ ١٣)

الٓمٓ ﴿١﴾

تبدأ سورة العنكبوت بالحروف المقطّعة: ﴿الم﴾ ومن العلماء من قال في تفسيرها: الله أعلم بمراده بذلك. ومن العلماء من اجتهد في محاولة تفسيرها. ومنْ أَنْفَسِ الآراء الرّأي الّذي يذهب إلى أنّ الحروف المقطّعة امتدادٌ للتّحدّي بالقرآن الكريم. إنّ هذه الحروف المقطّعة رمزٌ للحروف الّتي تتألّف منها كلمات القرآن الكريم. وهذه الحروف هي ذات الحروف الّتي تتألّف منها الكلمات العربيّة، ولكنّ نظم القرآن الكريم نسيجُ وَحْدِه.

والسّور الكريمات الّتي تبدأ بالحروف المقطّعة تسعٌ وعشرون سورة، يجيء فيها كلّها الانتصارُ للقرآن الكريم، على الفور أو على التّراخي. والانتصار للقرآن الكريم فوراً يجيء في خمسٍ وعشرين سورةً كريمة. والانتصار للقرآن الكريم على التّراخي يجيء في أربع سورٍ كريمات، هي مريم والعنكبوت والرّوم والقلم(١)

وبشأن سورة العنكبوت يجيء الانتصار للقرآن الكريم في الآيات الكريمات (٤٥ ـ ٥٢)

---

(١) درسنا الحروف المقطّعة الّتي تبدأ بها سور القرآن الكريم بالتّفصيل في كتابنا: تأمّلات في سورة البقرة ١/١٦ ـ ٢٢

أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾

أحسب النّاس : أظنّ الّذين خرجوا يا محمّد من أصحابك من أذى المشركين إيّاهم(١) والاستفهام للإنكار(٢)

أن يتركوا: أن نتركهم بغير اختبار ولا ابتلاء امتحان(٣)

أن يقولوا: المصدر المؤوّل في محلّ جرّ بلامٍ محذوفة متعلّق بـ﴿يتركوا﴾(٤) والتقدير: أن نتركهم لقولهم آمنّا.

وهم لا يفتنون: لا يبتلون في أنفسهم وأموالهم(٥)

أظنّ أصحابك يا محمّد وسائر المؤمنين أن نتركهم لقولهم آمنّا ونكتفي بقولهم ، وهم لا يُختَبرون بشيءٍ من الخوف والجوع ونقصٍ من الأموال والأنفس والثّمرات ، ولا يُبْتَلَوْن بأعدائهم من المشركين الّذين حملوا المؤمنين ـ مثلاً ـ على الهجرة من مكّة المكرّمة إلى المدينة المنوّرة.

ولقد اختبرنا الّذين من قبلهم وأخذناهم بالبأساء والضّرّاء ليعلم الله تعالى علم ظهورٍ الّذين صدقوا في إيمانهم ، وليعلم الكاذبين فيه ، فيثيب الأوّلين ويعاقب الأخيرين.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٢

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٧٣

(٣) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٢.

(٤) انظر الجدول في اعراب القرآن وصرفه ١٠/ ١٠١

(٥) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٢

جاء في الحديث الصّحيح : أشدّ النّاس بلاءً الأنبياء ، ثمّ الصّالحون ، ثمّ الأمثل فالأمثل. يُبْتَلَى الرّجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابةٌ زيد في البلاء(١)

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ
ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

السّيّئات : الشّرك(٢)

أن يسبقونا : أن يعجزونا فيفوتونا بأنفسهم فلا نقدر عليهم فننتقم منهم لشركهم بالله(٣)

ساء : بئس(٤)

ما : الّذي(٥) فاعل (٦)

يحكمون : يحكمونه(٧) ويحكمون به(٨)

أم ظنّ الّذين يعملون السّيّئات ويأتون المنكرات أنّهم يعجزونه عزّ وجلّ

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٧٣ وسنن ابن ماجة ٢/ ١٣٣٤ حديث رقم ٤٠٢٣

(٢) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٤

(٣) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٤

(٤) الجلالين

(٥) الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ١٠٢ والجلالين

(٦) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ١٠٣

(٧) الجلالين

(٨) انظر الجدول في إعراب القرآن وصرفه ١٠/ ١٠٣

ويفوتونه. بئس الّذي يحكمون به ، وساء ظنّهم ، وخاب رأيهم ، وضلّ سعيهم.

مَن كَانَ يَرْجُوا
لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن
جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

من كان يرجو لقاء الله : الرّجاء ظنٌ يقتضي حصول ما فيه مسرّة(١)
والمعنى: من كان يرجو الله يوم لقائه ويطمع في ثوابه(٢)

فإنّ أجل الله لآت: الأجل : المدّة المضروبة للشّيء(٣) والمعنى : فإنّ أجل الله الّذي أجّله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآتٍ قريباً(٤)

ولنجزينّهم أحسن: منصوب بنزع الخافضً الباء(٥)

من كان يرجو الله تعالى يوم القيامة ، ويطمع في ثوابه ، ويستعدّ للقائه عزّ وجلّ ، فإنّ المدّة المضروبة لذلك اللّقاء ، والموعد المحدّد له ، وهو يوم القيامة ، آت لا محالة ، فليستعدّ الإنسان للقاء الله تعالى ، وليعمل في أُولاه لأخراه. إنّ اللهً تعالى هو السّميع لكلّ قول ، العليم بكلّ نيّةٍ وفعل ، المجازى على ذلك.

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «رجا» ١/ ٢٥٣

(٢) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٤

(٣) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «أجل» ١/ ١٣

(٤) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٤

(٥) الجلالين

ومن جاهد أعداء الله تعالى بسيفه وسنانه ، بلسانه وبيانه ، بجوارحه وجَنانه[1] وأراد بأعماله الصّالحة وجه ربّه الأعلى فإنّه إنّما يجاهد لنفسه. إنّ ثواب عمل الصّالحات الّتي أراد بها وجه الله تعالى عائدٌ إليه ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. إنّ الله تعالى لغنيٌّ عن العالمين من الإنس والجنّ والملائكة وعن كلّ مخلوق ، ولو أجمعت المخلوقات على طاعته عزّ وجلّ ما زاد ذلك في مُلْك الله تعالى شيئاً ، ولو أجمعوا على معصيته ما نَقَصَ ذلك من ملكه جلّ وعلا شيئاً.

والّذين آمنوا بالله تعالى ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمّدٍ صلّى الله وسلّم رسولاً ، وبالقرآن الكريم منهجا ، وعملوا الصّالحات الّتي أرادوا بها وجه الله تعالى وحده لا شريك له ، سيكفّر عزّ وجلّ عنهم سيّئاتهم ، ويمحوها ، ويبدّلها حسناتٍ فضلاً منه ومنّة ، وسيجزيّنّهم الجزاء الأحسن على الأعمال الحسنة الّتي كانوا يعملونها في الدّنيا.

---

(١) الجنان ، بفتح الجيم: القلب لاستتاره في الصّدر

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ
بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾

ووصّينا الإنسان بوالديه حسنا: حسناً: مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو صفته على حذف مضاف ، أي إيصاءً ذا حُسْن(١)

وإن جاهداك : الجهاد المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطّاقة من قولٍ أو فعل(٢)

ووصّينا الإنسان بوالديه إيصاءً ذا حسن ، بأن يبرّهما ويكرمهما ويحسن إليهما ويقول لهما ألطف قول ويعاملهما أجمل معاملة. ويلاحظ أنّ الآية الكريمة تستعمل لفظ : «الإنسان» الّذي يشمل المؤمن والكافر.

فإن كان الوالدان مشركين ـ أو أحدهما ـ وبذلا منتهى جهدهما وطاقتهما كي تترك الإيمان بي وتوحيدي ، وتنضمّ إليهما ، لتشرك بي في العبادة ما ليس لك به علمٌ ، وليس له حقٌّ في أن يشرك بي في العبادة ، ولا يملك في هذا الكون فتيل نواةٍ ولا قطميرها وقشرتها الرّقيقة عليها لهوان كلّ تلك الآلهة المزعومة وعجزها فلا تطعهما واستمسك بإيمانك وأفردني بالعبادة وحدي لا شريك لي. إنّ برّ الوالدين في غير معصية الله تعالى ، وبخاصّةٍ الشّرك ، وهو الذّنب الّذي لا يغفره الله تعالى. إلى الله تعالى مرجعنا جميعاً يوم القيامة ، فينبّئنا جلّ وعلا بما كنّا نعمل في الحياة الدّنيا ، ويحشرنا مع من أحببنا حبّاً دينيّا(٣)

وروى التّرمذيّ عند تفسير هذه الآية الكريمة أنّ سعد بن أبي وقّاص قال إنّ

(١) الجدول في اعراب القرآن وصرفه ١٠/ ١٠٥

(٢) لسان العرب: «جهد»

(٣) انظر تفسير ابن كثير ٦/ ٢٧٥

الآية الكريمة نزلت فيه ضمن أربع آيات كريمات. قالت أمّ سعد : أليس قد أمرك الله بالبرّ؟ والله لا أطعَمُ طعاماً ولا أشرب شراباً حتّى أموت أو تكفر. قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا(١) فاها فأنزل الله تعالى الآية الكريمة(٢)

ويوم القيامة يكون الأبناء المؤمنون البررة مع الصّالحين ، والكافرون الفجرة مع المشركين. وهذا المفهوم نطقت به الآية الكريمة الأخرى.

إنّ الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات يريدون بها وجه الله تعالى ليدخلنّهم جلّ وعلا مع الصّالحين ، ويحشرنّهم مع المنعم عليهم من المرسلين والنّبيّين والصّدّيقين والشّهداء وعموم الصّالحين.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾

ومن النّاس من يقول بلسانه آمنّا بالله تعالى واتّبعنا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، فإذا أوذي في الله تعالى خار عزمه ، وظهر عجزه ، وجعل فتنة النّاس له، وإيذاءهم له ، في الخوف منهم ، والنّفاق بسببهم ، كالخوف من عذاب الله تعالى المنتقم الجبّار. ولئن جاء المسلمين نصرٌ من ربّك يا محمّد ليقولنّ أولئك المنافقون إنّا كنّا معكم نكثّر سوادكم ونقاتل في صفّكم. لقد كان المنافقون مع

(١) أي فتحوا فاها.

(٢) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٧٥ وانظر صحيح مسلم ٤/ ١٨٧٨ حديث رقم ٢٤١٢

المسلمين بأجسادهم فقط كي يضمنوا حظهم من الغنيمة إن كانت الدّائرة على الكافرين. أمّا إن كانت الدّائرة ـ لا سمح الله ـ على المؤمنين فإنّ المنافقين يطلبون من الكافرين حظّهم من الغنيمة لأنّهم كانوا مع الكافرين بقلوبهم ، ويعملون في السّرّ لصالحهم. ولهذا ختمت الآية الكريمة الأولى بما معناه: أجهلوا ولم يعلموا أنّ الله سبحانه وتعالى هو الأعلم بما في صدور العالمين من إيمانٍ وكفر.

وتّعمّق الآية الكريمة الأخرى هذا المعنى. إنّ الله تعالى يعلم الّذين آمنوا إيماناً صادقاً وعملوا عملاً صالحاً وسيثيبهم ، ويعلم المنافقين الّذين كفرت قلوبهم وعملوا السّيّئات وسيعاقبهم. وهذه المعاني تذكّرنا بمثل قول الحقّ جلّ وعلا(١): ﴿ومن النّاس من يعبد الله على حرفٍ فإن إصابه خيرٌ اطمأنّ به وإن أصابته فتنةٌ انقلب على وجهه خسر الدّنيا والآخرة. ذلك هو الخُسْران المبين﴾ كما يذكّرنا بمثل قول الحقّ جلّ وعلا عن المنافقين في سورة النّساء(٢): ﴿الّذين يتربّصون بكم فإن كان لكم فتحٌ من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيبٌ قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين. فالله يحكم بينكم يوم القيامة. ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾

ويلاحظ أنّ سورة العنكبوت مكّيّة ، وهي من آخر ما نزل على المصطفى صلّى الله عليه وسلّم قبل الهجرة(٣) باستثناء إحدى عشرة آية من أوّل السّورة الكريمة ، فإنّها من المدنيّ من القرآن الّذي نزل بعد الهجرة إلى المدينة المنّورة.

---

(١) سورة الحجّ ١١

(٢) الآية ١٤١

(٣) الإتقان ١/ ٤٣

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا
وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن
شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا
مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

اتّبعوا سبيلنا: ديننا(١)

وليسألنّ يوم القيامة: سؤال توبيخ(٢)

عمّا كانوا يفترون: يكذبون على الله(٣)

وقال كفّار قريش للّذين آمنوا بالله تعالى منهم ووحّدوه واتّبعوا محمّداً صلّى الله عليه وسلّم اتّبعوا ديننا ، واعبدوا أصنامنا ، ولا تؤمنوا بالبعث والحساب والجزاء. فإن صحّ أنّ ثمّة بعثاً وجزاءً ، وهذا مستحيل ، فإنّا سوف نحمل خطاياكم وننال العذاب بدلاً منكم. ويبيّن الحقّ جلّ وعلا أنّ المشركين كاذبون ، فهم لن يحملوا من خطايا المشركين شيئاً.

بل إنّ المشركين سوف يحملون على ظهورهم أوزارهم وذنوبهم وأحمالهم الثّقيلة، ويحملون أثقالاً أخرى مع أثقالهم وهي أوزار الّذين أضلوهم وصدّوهم عن سبيل الله تعالى ، من غير أن ينقص شيءٌ من أوزار التّابعين والّذين صُدُّوا عن سبيل الله تعالى. وفي يوم القيامة سوف يُسْألون على سبيل التّوبيخ عمّا كانوا يقولون من كذب ، وما يزعمون من ادّعاء.

---

(١) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٧

(٢) الجلالين

(٣) الجلالين

(٢)

«إهلاك الله تعالى الكافرين ، وانجاء المرسلين وأتباعهم ، وتثبيت فؤاد المصطفى صلى الله عليه وسلم وأفئدة المؤمنين»

الآيات (١٤ ـ ٤٠)

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ
إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾
فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

بعد حديث الآيتين الكريمتين السّابقتين عن الكافرين وعقابهم يأتي الحديث عن نوحٍ عليه السّلام الّذي لبث يدعو قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً ، وما آمن معه إلاّ قليلٌ بنصّ القرآن الكريم ، وعن قومه عليه السّلام ، الّذين أخذهم الطّوفان وأغرقهم الله تعالى بالماء الكثير والسّيل العارم. وبذلك يكون ثمّةَ تسليةٌ للمصطفى صلّى الله عليه وسلّم الذي عانى من كفّار مكّة كما عانى نوحٌ عليه السّلام من قومه الكافرين ، وتهديدٌ لكفّار مكّة المصرّين على الكفر والعناد والاستهزاء إلى الحدّ الّذي يطلبون معه من مؤمني قومهم أن يرتدّوا عن دين الإسلام ، لأنّه لا بعث ولا جزاء. وإن كان ثمّة جزاءٌ فَرْضاً فإنهّم سوف يحملون ذنوب الّذين طلبوا منهم الارتداد عن دين الإسلام!

والمعروف أنّ نوحاً عليه السّلام أوّل رسل الله تعالى إلى البشريّة. ويلاحظ بشأن التّسعمائة والخمسين أنّه تجيء لفظة سنة ، إيماءً إلى المشقّة الّتي كابدها عليه السّلام مع قومه. إنّ لفظة سنة تُستَعْمَل في الحول الّذي فيه الجدب(١) كما يلاحظ بشأن تمام الألف أنّه يجيء لفظ عام الّذي يعبرّ به عن الرّخاء والخصب(٢) وكأنّ لفظ عام يومىء إلى أعوام التّمكين للمؤمنين في الأرض بقيادة نوح عليه السّلام.

---

(١) مفردات الرّاغب الأصفهاني : «سنة» ١/ ٣٢٣

(٢) مفردات الرّاغب الأصفهاني: «عوم» ٢/ ٤٦٠

لقد أخذ الله تعالى قوم نوحٍ عليه السّلام الظّالمين المشركين بالعذاب الشّديد في هيئة الغرق بالطّوفان. وأنجى الله تعالى نوحاً عليه السّلام والمؤمنين معه أصحاب السّفينة. وجعل الله تعالى السّفينة الّتي نجّى بها نوحاً والمؤمنين آيةً للعالمين كي يأخذوا العظة منها والعبرة. كما جعل الله تعالى جنس السّفينة الّتي تطفو بإرادة الله تعالى فوق الماء آيةً أخرى للعالمين دالّةً على القدرة المطلقة للذّات العليّة ومذكّرةً بإنجاء الله تعالى نوحاً عليه السّلام والمؤمنين بالسّفينة من الغرق بالطّوفان.

وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ
وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟
فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾

وإبراهيم: واذكر أيضاً يا محمّد إبراهيم خليل الرّحمن(١)
إن كنتم تعلمون: ما هو خيرٌ لكم ممّا هو شرٌّ لكم(٢)

---

(١) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٨

(٢) تفسير الطّبري ٢٠/ ٨٨

وتخلقون إفكا: وتصنعون كذباً(١) وتقولون كذبا(٢)

فابتغوا عند الله الرّزق: فالتمسوا عند الله الرّزق(٣)

واذكر أيضاً يا محمّد إبراهيم عليه السّلام ، خليل الرّحمن ، وأبا الأنبياء ، عليهم جميعاً صلوات ربّ العالمين وسلامه ، حين قال لقومه عبّاد الأوثان والكواكب وما إليهما: اعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له ، واتّقوا عذابه بفعل الطّاعات واجتناب المعصيات. ذلكم خيرٌ لكم فافعلوه إن كنتم تعلمون الخير كي تفعلوه والشّرّ كي تجتنبوه.

إنّكم إنّما تعبدون من دون الله تعالى المستحقّ وحده أن يُعْبَد وتدعون أوثاناً لا تضرّ ولا تنفع ولا تملك موتاً ولا حياةً ولا نشورا ، وإنّكم إنّما تقولون كذباً وزورا ، وتأتون منكراً وفجوراً. إنّ الآلهة الزّائفة الّتي تعبدونها من دون الله تعالى لا تملك لكم رزقاً فالتمسوا عند الله تعالى الرّزق تجدوه واطلبوه منه يؤتكم من خزائنه الّتي لا تنفد ، وأفردوه عزّ وجلّ بالعبادة ، واشكروا له نعمه العظيمة الّتي أسبغها عليكم والّتي لا تستطيعون أن تعدّوها بحالٍ من الأحوال. إليه تُرْجعون يوم القيامة للحساب والجزاء ، الثّواب والعقاب.

وإن تكذّبوني أيّها المشركون فقد كذّب أممٌ من قبلكم رسل الله تعالى إليهم فنالوا عقاب تكذيبهم ، فعليكم أن تتّعظوا بما حلّ بالمكذّبين السّابقين ، وإلاّ كان مصيركم كمصيرهم. وما على الرّسول من الله تعالى إلاّ البلاغ المبين الواضح.

ويصحّ أن يكون صدر الآية الكريمة: ﴿وإن تكذّبوا فقد كذّب أممٌ من قبلكم﴾ على لسان إبراهيم عليه السّلام ، وبذلك يكون ابراهيم عليه السّلام قد جمع في دعوته قومه عليه السّلام بين التّرغيب والتّرهيب. ويصحّ كذلك أن يكون

---

(١) تفسير الطّبري ٢٠/٨٨

(٢) تفسير الطّبري ٢٠/٨٨

(٣) تفسير الطّبري ٢٠/٨٩

عجز الآية الكريمة: ﴿وما على الرّسول إلاّ البلاغ المبين﴾ من كلام الحقّ جلّ وعلا، وبذلك يكون صدر الآية الكريمة توطئةً للآيات الكريمات الخمس المعترضات بعد ذلك. ويصح أيضاً أن تكون الآية الكريمة كلهّا من كلام الحقّ جلّ وعلا، وبذلك تكون الآية الكريمة تهديداً من الحقّ جلّ وعلا لكفّار مكّة ومن شاكلهم، وبناءً على ذلك تكون الآيات المعترضات ستّاً لا خمساً. والله تعالى أعلم.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ
مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ
وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

كيف يبدىء الله الخلق ثمّ يعيده: أبدأ وأعاد وبدأ وعاد لغتان بمعنىً واحد(١)
ثمّ الله ينشىء النّشأة الآخرة: أي البعث بعد الموت(٢) والحياة بعد الموت وهو النّشور(٣)

---

(١) تفسير الطّبري ٢٠/٨٩

(٢) تفسير الطّبري ٢٠/ ٩٠

(٣) تفسير الطّبري ٢٠/ ٩٠